الإسلام والعولمة

المبحث الأول - العولمة وأثرها في الجريمة من الناحية الشرعية[1]

إن العالم الغربي بقيادة أمريكة حريص على إبقاء نزعة التفوق والسيطرة أو الهيمنة على المجتمع الدولي بأساليب مختلفة، تتناسب مع تطور العالم ونهضته ولغته وطرق تعامله مع الآخرين، سواء في مظهر الاستعمار القديم أو الجديد، أو ما بعده من ظاهرة الإمبريالية ومخلّفاتها، أو في مظلة الاصطلاح الجديد بعد منتصف الثمانينيات في المخطط الأمريكي وحدته في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، وهو (العولمة) التي هي في الواقع مجرد مظلة جديدة لهيمنة القوي على الضعيف، والتركيز على محور القطب الواحد لقيادة العالم من قبل أمريكة، وتأييد اضطراري أو طوعي من أوربة.

وحينئذ تتوِّج العولمة الصراع التاريخي بين الدول الغنية والدول الفقيرة، بين الشمال والجنوب، بين الاستعمار والتحرر، بين الهيمنة والاستقلال، وتتابع تحقيق آثارها على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والمعلوماتية والفن والرياضة وتنظيم الأسرة لتخدم مصلحة أمريكة[2].

وتنعكس هذه الآثار كلها على العالم الذي وقف أكثر من ثلثيه من ألف مدينة

---

(١) بحث مقدم إلى أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض - السعودية، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) ثمة عولمة سياسية، وعولمة اقتصادية، وعولمة ثقافية، وعولمة إعلامية، وعولمة علمية وصناعية ومعلوماتية وتقنية، وهي وجوه متداخلة متشابكة بحسب الوثائق الدولية التي تعرف العولمة.

ضد العولمة بسبب عيوبها ومثالبها، ومنها ارتكاب الجرائم وتطبيق العقوبات المختلفة على المجرمين، ولا سيما الحرب على العراق سنة ٢٠٠٣م.

وواضح أن مفهوم العولمة يشمل حالة التطبيع العالمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره، وتستخدم وسائل الإعلام المتنوعة لتوطيد دعائم القيم الجديدة المرتبطة بالإطار العام لمفهوم العولمة.

ويمكن معرفة آثار العولمة في الجريمة من الناحية الشرعية الإسلامية من خلال المحاور الآتية التي تترجم مفهوم: «نحن والعالم اليوم ومدلول العولمة»[1]:

١- العولمة وتمييع المفاهيم الفكرية حول ارتكاب الجريمة وخطورتها وتنوعها.

٢- العولمة وشمولية النظام الغربي أو الأمريكي وتقاليده في مفهوم الإجرام وممارسته.

٣- العولمة وتجاوز الاعتبارات والخصوصيات المحلية والقيم الدينية حول الإجرام وآثاره.

٤- العولمة وتغيير المناهج التربوية والثقافية، ومدى تأثيرها في المخالفات.

٥- العولمة والإبقاء على المصالح الأمريكية، ومحاولة هيمنة أمريكة على العالم، ومدى ردود الفعل الانتقامية تجاه ظاهرة الإجرام.

٦- العولمة والترويج لظاهرة الانحراف بتعاطي المخدرات وتناول المسكرات واقتراف سائر أنواع الجرائم.

٧- العولمة ومحاولة القضاء على روح المقاومة ضد التدخل الاستعماري وبروز حالة الإرهاب.

---

(١) العولمة: ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، ودون انتماء إلى وطن محدد أو دولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية.

٨- نزعة التفوق العرقي والاستكبار العالمي بقيادة أمريكة وصانعي العولمة، وأثر ذلك في ظاهرة الإجرام.

٩- تقويض وجود الدولة الإقليمي وتبديد الثقافات المحلية، وتهيئة مناخ أوسع للجريمة.

١٠- العبث فعلاً بمعايير حقوق الإنسان مع الإبقاء على الشعارات وأثر ذلك في ظاهرة الإجرام.

١- العولمة وتمييع المفاهيم الفكرية حول ارتكاب الجريمة وخطورتها وتنوعها

إن هدف العولمة الأمريكية أو الرأسمالية الجديدة هو تعميم النمط الحضاري الأمريكي على بلدان العالم وشعوبه، بقصد الهيمنة على الاقتصاد والسياسة والثقافة والأفكار والسلوك[١].

والنمط الأمريكي نمط طبقي أرستقراطي يقسم الشعب إلى أسياد وعبيد، بيض وسود، محتكرين كبار وأتباع ضعاف، ذوي أملاك ومصانع ومزارع وشركات عملاقة ضخمة، وفقراء بؤساء متخلفين، يعيشون وينامون في الشوارع، وتبدو الفوارق بين الفئتين واضحة في كل مظاهر الحياة، فتجد النوادي المخصصة للأثرياء، والمطاعم الفخمة للكبار، والملاعب الرياضية الرفيعة للبيض، وثمة نوادٍ متواضعة، ومطاعم بسيطة، وملاعب رياضية خاصة بالفقراء والسود.

هذا التمييز الطبقي يؤدي إلى إثارة الحساسية لدى أهل الدنو ضد المترفعين، وفرط الحساسية يسبِّب حب الإجرام واقتراف الجرائم الخطيرة من قتل، ونهب، وسرقة، واغتصاب ونحو ذلك.

ويتفنن المجرمون في ارتكاب الجريمة، ولا سيما باستخدام (المعلوماتية) في السطو على بيوت المال (البنوك)، أو المنازل والمطاعم والنوادي والمزارع

(١) العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، للأستاذين فتحي يكن ورامز طنبور، ص١٤.

والمصانع والمتاجر وغيرها، فإذا انتقلت العولمة إلى الشعوب الأخرى، ولا سيما المتخلفة منها، ازداد الأمر تعقيداً، وكثرت الجريمة، وتنوعت أساليب ارتكابها، بسبب حدة التفاوت الطبقي بين فئات الناس، لأن الإنسان غدا «ابن البيئة العالمية» وأسير النشاط والتفاوت الاقتصادي.

وتتبدل مفاهيم الناس، فبدلاً من التماس الأعذار لحال وضع البلد المحلي وتخلّفه، صار الناس يتصورون وجود الدخيل محملاً بألوان الثروة والرفعة، فيحلمون بتقليده أو محاكاته، وإذا تعذر تحقيق الأحلام المعسولة، وهو الغالب، فكّر الجناة والمنحرفون بالاعتداء على الآخرين، سواء كانوا من الأجانب أو الوطنيين المتعاونين مع الدخلاء.

والعالم الإسلامي أو العربي مليء بالمتناقضات، مشحون بالتوترات، وبعض أهله - وهم الأقلية - متمسكون بأهداب الدين والفضيلة والأخلاق أو القيم والنظام أو التشريع، ويراقبون الله عز وجل في السر والعلن، والأكثرون متفلّتون مذمومون، منحرفون، لا يتورعون عن اقتراف أية جريمة على الأنفس أو الأموال، أو المنشآت والمؤسسات، أو المصانع والمزارع والمنازل، لكنهم يحسبون ألف حساب لشدة العذاب، وقسوة العقاب، وخطورة المسؤولية الوطنية، فإذا ضعفت السلطة الوطنية أو النظام المحلي، بسبب انسياح العولمة وما تحمله في جنباتها من عيوب ورزايا، هان على هؤلاء المتخوفين اقتراف الجرائم الكثيرة، لإحساسهم بالعجز أو الضعف، أو التخلف أمام ما يشاهدونه لدى الأكابر وأصحاب السلطة والنفوذ.

وإذا كانت نسبة الجريمة قليلة قبل شيوع العولمة في غير أمريكة من البلدان الآسيوية والإفريقية، لاعتبارات وخصوصيات وطنية أو محلية، فإن نسبة الجريمة تنمو وتتكاثر مع تدفق سيل العولمة الأمريكية على صعيد الأزياء والفنون، والأطعمة والمشروبات، والعطور ومستحضرات التجميل، والتدخين، والحلاقة وتوابعها كالتبرج والاختلاط والفتن والشذوذ، وظاهرة السينما والانحراف والتبشير، والغناء والرقص، والرياضة، وصعيد الأزمات

الاقتصادية، وتفتيت البنى السياسية والاجتماعية، وتفريق أبناء المجتمع، ونشوء الأحزاب، عملاً بقاعدة «فرق تسد».

والأدلة أو البراهين واضحة، فحينما يقترب بلد أو دولة من الغرب، أو تنصاع الدولة لتوجيهات السلطة الأمريكية وأوامرها، مع كل المساعدات الممنوحة لها، فإن الأمور تزداد سوءاً، فيهبط سعر العملة المحلية، وترتفع الأسعار، وتنخفض أو تنعدم فرص العمل، وتزداد أو ترتفع نسبة البطالة، وتكثر شكاوى الفقر، ويحس كثيرون بآلام البؤس والحرمان، وكل هذه الأوضاع مناخ خصب لتفريخ ظاهرة الجريمة وزيادة المجرمين، فمع انخفاض نسبة الجريمة قبل العولمة، تصبح هذه النسبة عالية.

وذلك لأن بيئة العولمة ذاتها في الغرب تساعد على ارتكاب الجريمة، وتصحبها حيثما حلت أو ارتحلت، ومن المعلوم أن نسبة الجريمة في بريطانية وأمريكة، من قتل وسرقة واغتصاب واعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، تزداد باستمرار. فقد بلغت نسبة الجريمة في أمريكية أكثر من عشرة أضعاف ما كانت عليه بين عام ١٩٥٠-١٩٦٤م، بسبب وفرة الرخاء والازدهار، ولا سيما في مدن نيويورك وأطلنطا وبوسطن، وتفشت ظاهرة المخدرات في أوربة وآسية وإفريقية، وكثر المصابون بالإيدز (فقد المناعة) أو الشذوذ الجنسي، حتى بلغ عددهم في العالم أكثر من عشرة ملايين من الذكور والإناث[1]، وزادت نسبة جرائم النهب والسلب في بريطانية في عام ١٩٨٧م بنسبة ١٢٪، وبلغت (٤٥,٠٠٠) جريمة، بسبب زيادة معدل الرخاء، وغيبة الوازع الديني، لأن العولمة تفترس ظاهرة الدين والأخلاق والقيم الإنسانية، وتخترق مبادئ الحق والعدل والمساواة، ويكثر تطبيق عقوبة الإعدام في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء بين الرجال والنساء، والمرضى العقليين، وما دون سن العشرين، ونصفهم من السود، وقد أبانت الدراسات الجنائية وأنشطة اللجان

(١) المجلة العربية للدراسات الأمنية في الرياض، عدد ذي الحجة ١٤٠٦هـ/ آب (أغسطس) عام ١٩٨٦م، ص١٠٦.

والمنظمات الإنسانية أن تطبيق عقوبة الإعدام في أمريكة قائمة على سياسة التمييز العنصري[١].

وتركز العولمة على اختراق النظام الجنائي الإسلامي وتجاوز ما يعرف فيه من قسمة عقوبات الجرائم إلى حدود وتعازير، علماً بأنه قد وجدت هذه القسمة لتحصين المجتمع الإسلامي من الانحراف، وحماية العقيدة والعبادة وأماكنها، وتنشيط المعاملات الاقتصادية والمالية والثقافة الإسلامية والحفاظ على حقوق الإنسان في الأفق العام مطلقاً، والخاص أحياناً، واحترام نظام الشريعة في الاقتصاد والسياسة والأخلاق، ومن أهم الأحكام التشريعية رعاية قواعد الحق والعدل والخير والمساواة، ومحاربة كل ألوان التمييز العنصري والعرقي والطبقي.

ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية حافظت على احترام أحكامها الأصلية ورعاية أبنائها في مجال العلاقات المادية وحفظ المصالح الاجتماعية، من طريق ما يسمى في علم القانون المؤيدات أو الجزاء، وهي نوعان: مؤيدات مدنية أو حقوقية؛ كالحكم ببطلان العقد أو فساده أو فسخه أو توقفه، ومؤيدات تأديبية وهي نوعان: حدود أو عقوبات مقدرة، وتعازير أو عقوبات مفوضة[٢].

والحدود هي العقوبات التي قدر لها الشرع نوعاً ومقداراً معلوماً بالنص الصريح، مثل حد الزنى، وحد القذف، وحد السرقة، وحد الحرابة (أو قطع الطريق للسلب والنهب والقتل) وحد تناول الخمر والمسكرات.

والتعازير هي العقوبات التي لم يحدد لها الشرع نوعاً ولا مقداراً معيناً، بل فوضها لولاة الأمور لمعاقبة المجرمين بما يرونه مناسباً وكافياً للزجر والإصلاح.

وهذه عقوبات دنيوية، وثمة عقوبات أخروية يمليها نظام الحق والعدل المطلق، ويُضعف دوافع الجريمة المؤدية لهذين النوعين المتقدمين، وهو

(١) نشرة منظمة العفو الدولية عام ١٩٨٦م، ص١.

(٢) المدخل الفقهي العام للأستاذ الشيخ مصطفى الزرقاء، ف٤٨/ ٤-٩، ١/ ٤٩، ١/ ٥٠.

رقابة الله تعالى في السر والعلن، القائمة على الإيمان العميق بالله عز وجل، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

وأسلوب العقاب الناجع في الإسلام هو الاعتماد على الصلاح والإصلاح، والزجر والتخويف، والتوجيه والإقناع، والحرص على عودة الجانحين إلى جادة الاستقامة والتوبة الصادقة أو المخلصة.

ومن المؤكد أن العولمة واعتمادها على معطيات القوانين الوضعية وعقوباتها النسبية الأثر والمفضلة والمألوفة عند دعاة العولمة، والتي تزحف معها، ولا تسمح بوجود بدائل أخرى أو اللجوء إلى معايير دينية، سواء في التجريم والعقاب، أو في رعاية مقاصد شريعتنا العامة والخاصة.

أما بعض العقوبات المقررة في الشريعة الإسلامية فهي وإن كانت قاسية في الظاهر، لكنها نادرة التطبيق، وتحقق المصلحة العامة، وترعى مصلحة المجتمع، وإن كان الضحية شخصاً أو شخصين، قال ابن تيمية رحمه الله: إن إقامة الحد من العبادات كالجهاد في سبيل الله، فينبغي أن يعرف أن إقامة الحد رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديداً في إقامة الحد، لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله، ويكون قصده رحمة الخلق، بكف الناس عن المنكرات لا شفاء غيظه، وإرادة العلو على الخلق، بمنزلة الوالد إذا أدّب ولده، فإنه لو كفّ عن تأديب ولده، كما تشير به الأم رقة ورأفة، لفسد الولد، وإنما يؤدبه رحمة به، وإصلاحاً لحاله، مع أنه يود ويؤثر ألا يحوجه إلى تأديب[1].

والفرق واضح بين عالمية الإسلام القائمة على حب الخير والمصلحة والإنقاذ في عالمي الدنيا والآخرة، دون حرص على مطامع مادية أو حب السيطرة والهيمنة على مقدرات الشعوب الأخرى، وبين العولمة ذات الأطماع الاقتصادية والسياسية والحرص على استنزاف خيرات الأمم الأخرى غير الأمريكية، ونهب ثرواتها النفطية والمعدنية، والحرص على إبقاء الشعوب

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية، ص٩٨.

متخلفة وتابعة لغطرسة أمريكة، وحماية مصالحها الاستكبارية، وماديتها الجامحة أو القاتلة.

ومما يدل على الفرق أيضاً أن فقهاء الحنفية لا يجيزون إقامة الحدود في دار الحرب أي ليس للعقوبات صفة العولمة[١].

ومما لا شك فيه أن هذه البواعث أو الدوافع لها تأثيرات أمنية كثيرة، ولا سيما على العالم الإسلامي والعربي، ومن أخطرها تمييع المفاهيم الفكرية حول مفهوم الجريمة، وغاياتها، وتقدير مدى خطورتها، والتفنن في ابتكار ألوان جديدة من الجرائم تهدد الأمن، وتقضّ من راحة الناس، وتعمل على جعل المجتمع يعيش في غليان دائم، وقلق مستمر، وانزعاج واضطراب متلازمين، وإبعاد عن هدي الله في توفير الرخاء والسعادة والطمأنينة والشعور بالاستقرار في عالم الدنيا، وانتظار النجاة والسلامة في عالم الآخرة.

وفي الجملة إن العولمة أساسها العلمانية والترويج للأفكار والفلسفات الإلحادية والإباحية، وغايتها عولمة الانحراف الأخلاقي، واستباحة الجريمة بأنواعها، ومنها الانحراف الجنسي حتى أقرت بعض البرلمانات الغربية صراحة هذا الانحراف، وأباحت الزواج المدني والزواج المثلي من الجنس نفسه، والشذوذ، ومنها تجارة المخدرات وتعاطيها، التي أدت إلى كثرة حوادث القتل والانتحار والسلب والنهب والغصب والاغتصاب من طريق الإسكار، ونحو ذلك من ألوان مكائد الشيطان، وعبادة الأهواء والشهوات، والاستهانة بجسد المرأة، والحرص على تعريتها. وعولمة العنصرية والطبقية والمادية، حتى لا يبقى تأثير للأخلاق الرصينة إلا الأخلاق النفعية أو التجارية فقط، من أجل وفرة الإنتاج وقوة التصنيع، والتصدير، وتشجيع الاستهلاك، وتطويق الأخلاق والآداب ذات المصدر الإلهي، فكان لذلك تأثير واضح في كثرة وقوع الجريمة، وتزايد نسبتها، والتفنن في اختراع ألوان جديدة من الجرائم، حتى استخدام

(١) البدائع ٥/ ١٩٢، المبسوط ١٠/ ٩٥.

أحدث أساليب (المعلوماتية) في السطو على الأموال وسرقة ودائع البنوك والارتباك الشديد في تحديد المسؤول عن التعويض، هل هو البنك أو المودع؟

أما المنهج الاجتماعي الإسلامي القائم على إقرار الأمن والطمأنينة والسكينة، وإشاعة الاستقرار، فإنه يقوم على أساس تشريعي إلهي، وميزان رباني، لتحقيق خير المجتمع وتحصين الأمة من الانحراف، حتى إن الجرائم أو الجنايات توزن بميزان شرعي، بدليل تعريف الماوردي للجريمة أو الجناية بقوله: الجرائم: محظورات شرعية، زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير[1].

والمحظور: إما إتيان منهي عنه شرعاً، أو ترك مأمور به شرعاً.

وبناء عليه، يكون معنى الجناية أو الجريمة: كل فعل محرَّم شرعاً، سواء وقع الفعل على نفس أو مال أو غيرهما.

إن ميزان الشرعية الدينية في الإسلام في النظر إلى الجريمة، يضعف أو يخفف من ارتكابها، وأما موازين العولمة الرأسمالية، والديمقراطية، والعنصرية، والعلمانية، واللاأخلاقية، ومعاداة القيم الدينية، فهي أخصب المناخات لاقتراف الجريمة وتسهيل ارتكابها، وإيقاع الدولة والمجتمع في تعقيدات كثيرة.

٢- العولمة وشمولية النظام الغربي أو الأمريكي وتقاليده في مفهوم الإجرام وممارسته

من الواضح أن العولمة وبيئتها القائمة على المادية والهوى والشهوة، ومعاداة القيم الدينية بل والأخلاقية لها تأثيرات إيجابية مباشرة، سواء في العبث بمفهوم الجريمة كمسألة معنى أو تعريف الإرهاب، أو الإخلال بنظام العقوبة، وهذا مما يجرِّئ المنحرفين على ارتكاب الجريمة، حيث لا توجد ضوابط كابحة وذات تأثير ديني على النفوس قبل التورط في الجريمة، ولا مجال للفكر الديني الصحيح غير المشوه وغير المستغَل، مما هيأ الفرصة المواتية لارتكاب الجريمة.

---

(١) الأحكام السلطانية، ص٢١١، ط صبيح.

لقد أصبح النظام الغربي الوضعي هو المحكم في كل شيء بسبب النزعة المادية، وقيامه على الفن الهابط من أغانٍ وموسيقى وتمثيل ورقصٍ، وتكديس الثروات، وكثرة الاحتكارات، وعالمية الشركات الضخمة، ووفرة المصانع الكبرى، والعمل على فتح الأسواق العالمية أمام المنتجات المحلية، والتحكم في أسعار النفط والمعادن، وإشاعة التقاليد الغربية، سواء في علاقة المرأة بالرجل، أو العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، أو الثقافة المادية، أو الإغراق في اقتناص متع الحياة، وفرص اللهو من غناء ماجن ورقص خليع وتمثيل موجَّه، وطرب ولهو ومسكرات وتعاطي مخدرات، وإباحة العلاقات المشبوهة أو غير الشرعية في الواقع، وعولمة العادات والتقاليد والفنادق والمعلوماتية والسياحة والعقاقير المهدئة أو المقوية، مما هيأ المناخ الملائم لكثرة الجريمة وافتقاد الأمن في كثير من الأحياء في المدن الكبرى وغيرها.

ومما زاد الأمر خطورة من ناحية الإجرام تحالف العولمة الأمريكية مع العولمة الصهيونية في كل شيء من السياسة والاقتصاد، والاجتماع، والثقافة، والتطرف أو الغلو في معالجة المشكلات الدولية، فكان المتحالفان هما السبب في نشوء ما يسمى بالإرهاب الدولي، وأصبح أسلوب وخطاب النظام الأمريكي السياسي في عهد بوش الابن والإسرائيلي موحداً، حتى قيل عن آخر خطاب للرئيس بوش حول إحلال السلام في فلسطين والشرق الأوسط: إنه مجرد ترجمة للإنكليزية عن العبرية.

ودليل هذا التحالف أيضاً إقرار ما يفعله السفاح شارون وعصبته في الأراضي الفلسطينية من أعمال وجرائم وحشية قتلاً وتدميراً وتشريداً وحصاراً وسجناً، حتى للرئيس الفلسطيني نفسه لعدة أشهر، ثم وصفت أمريكة هذا كله بأنه مقاومة للإرهاب، وهو عين الإرهاب ذاته، وإهدار حق المقاومة والدفاع المشروع للشعب الفلسطيني، وهو ما جعل أمريكة لا تستجيب إلى الآن لإقامة مؤتمر دولي لتحديد معنى الإرهاب، وتهديدها دول المنطقة العربية كلها إذا لم تؤيد العدوان الصهيوني بأشكاله المختلفة، ووصف بعض هذه الدول بأنها الدول

المارقة أو محور الشر، لأنها لم تذعن لأوامر ونفوذ أمريكة التي تمد دولة إسرائيل بالمال والسلاح، وتجهد دائماً في مجلس الأمن والأمم المتحدة على تبني السياسة الصهيونية، واستمرار العدوان المسلح، وطمس كل معالم الحق والعدل والمساواة، وإهدار كل معاني حقوق الإنسان، مما أفرز حب إراقة الدماء، وكثرة الجرائم، والاستخفاف بنداءات السلام الحقيقية والأمن الجماعي القائم على أساس من الحق والعدل والشرعية الدولية، مع منع لجان التحقيق الدولية من ممارسة مهامها، وحظر دخول الإعلاميين لمدن الضفة الغربية.

لقد أصبحت العولمة الأمريكية والصهيونية حاضنة لأوكار الجريمة، وسبباً لاضطهاد العالم، وشن الحروب الداخلية والدولية على الشعوب المستضعفة، تحت مظلة مقاومة الإرهاب وتصفيته، مع تآمر وتخطيط رهيب، وتلفيق للتهم، وإلصاقها بالعرب والمسلمين، وحبك مسرحيات محكمة الإخراج والتدبير والتلفيق والخداع بما في ذلك أحداث (١١) أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١م، بل صار اللعب على المكشوف بين أمريكة وإسرائيل في مخططات الاجتياح، وبرزت مرحلة جديدة وخطيرة في الصراع العربي الإسرائيلي لتصفية الوجود العربي في فلسطين، ومحاولة طرد العرب من بلادهم.

ولقد كشف الكاتب الفرنسي (تييري ميسان) في كتابه (أيلول ٢٠٠١- التضليل الفظيع) زيف الرواية الأمريكية حول ما جرى في ذلك اليوم، وأنه ما من طائرة تحطمت فوق مبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) فلم يوجد قطعة منها ولو بمقدار سنتمتر واحد، ولا من عجلات الهبوط، ونزلت الطائرة بوضعية أفقية سليمة دون أن تكسر مصباحاً واحداً في حديقة البنتاغون ولا الاصطدام بها، ولم يحترق وقود الطائرة، وإنما اشتعل الحريق فيها عندما شب حريق في المبنى، ثم تحول إلى مستنقع، فالرواية الأمريكية ليست سوى دعاية كاذبة، وعملية خداع، ومسرحية مفتعلة، وكان اصطدام الطائرة البوينغ بجزء من البنتاغون الذي كان في حالة ترميم، وكانت معظم المكاتب خالية من الموظفين إلا من بعض المدنيين، علماً بأن هذا المبنى يعمل فيه (٢٣) ألف شخص يومياً،

ومساحته (٢٤٠٠٠م٢)، ويحمي المبنى جهاز عسكري سري يعمل آلياً (أتوماتيكياً) بمجرد مرور جسم غريب عنه، وفي القاعدة الرئاسية أسطولان قتاليان بشكل دائم، مزودان بطائرات مطاردة إف ١٦ وإف A18، فكيف لم تتمكن هذه القاعدة من اعتراض البوينغ المهاجمة التي أنهت رحلتها فوق البنتاغون بعد أن تجاوزت الدفاع المضاد للطيران؟!

وكذلك مبنى التجارة العالمي كانت الطائرة المصطدمة به من غير طيار، وكان عند الاصطدام فريق من المصورين يصورون فوراً، وغاب خمسة آلاف يهودي في ذلك اليوم عن وظائفهم، وكل هذه القرائن تدل على أن تنظيم القاعدة وابن لادن لم يكونوا وراء هذا الحادث الذي قصد به إيجاد المبررات لضرب أفغانستان وغيرها، وأن الحادث مدبر من قبل ميليشيات من اليمين المتطرف ضد البنتاغون، وأن هناك مواجهات سرية تقسم صفوف الفئة الحاكمة في أمريكة، وتتآمر مع الصهاينة، وسيكشف التاريخ زيف هذه المسرحية الملفقة.

هذا نوع من الإجرام المفتعل يرتكبه نظام العولمة، وقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية تدبير مؤامرة مشابهة لما أعلنته في ١١ أيلول ٢٠٠١م على (كوبا) لاحتلالها، أو إجراء انقلاب فيها على كاسترو، بعد اعتداء مدبر على بعض السفن والمؤسسات الأمريكية، تتهم فيه كوبا، وقد أعلنت عنها بعض الصحف الخليجية، بعد انكشاف خطة المؤامرة.

٣- العولمة وتجاوز الاعتبارات والخصوصيات الإقليمية، والقيم الدينية حول ظاهرة الإجرام وآثارها

إن العولمة القائمة على العلمانية بصفتها منهجاً اعتقادياً، وعلى العنصرية بصفتها سياسة اجتماعية، والديمقراطية الغربية المبرمجة بصفتها منهجاً سياسياً، تحاول اجتياز كل العقبات والصعاب أمامها، واختراق كل المقدسات في العالم من طريقها، واختراق كل الخصوصيات المحلية أو الإقليمية، لتعبُر إلى كل أنحاء المعمورة، وتحقق أغراضها ومطامعها، وتستمر هيمنة أمريكة، ويبقى

استكبارها العالمي، وتزحف تقاليدها وعاداتها إلى العالم كله، وتنتشر معها أساليب الإجرام وفنونه.

إن القيم الدينية - ولا سيما الإسلامية والخلقية التربوية القرآنية - تعد حصناً منيعاً من اقتراف الجريمة، وتخفيف وقوعها، والحد من انتشارها، ويليها الخصوصيات الثقافية الإقليمية حيث تكون حاجزاً نسبياً وعرفاً مألوفاً، يحدّ من ارتكاب الجرائم، لأنه من الثابت أن الأعراف المحلية ذات تأثير وقائي وحصن من التفكير في الإجرام، لأن هذه القيم فضائل في ذاتها، وليست مجرد منفعة أو للتجارة، فإن قضي على هذه الأعراف والقيم، ازدادت ظاهرة الإجرام، وامتدت آثارها المخربة للمجتمعات في كل مكان.

وتطبيقاً لهذا، فإن الأمن ليلاً أو نهاراً أكثر استقراراً في أي بلد عربي أو إسلامي بسبب المؤثرات الدينية، ولا سيما في السعودية، إذا قيس بالأمن في أمريكة أو بريطانية، وقد دلت الإحصاءات على أن نسبة وقوع الجريمة في بلد العولمة (أمريكة ونظيرتها) أكثر منها بكثير في البلاد الإسلامية والعربية، كما تقدم، فإذا نجحت العولمة في سياستها، وربما تنجح بنحو بطيء، رافقتها الجريمة صعوداً، وانحسرت نسبة الهبوط الجنائي تدريجاً في نهاية المطاف، مع ارتفاع مستوى المعيشة في أمريكة، وتدنيها في بعض البلاد العربية أو الإسلامية.

كما أنه كلما اتسع مجال أو نطاق العولمة، اتسع مفهوم الإجرام وتشعب، وظهرت جرائم جديدة غير مألوفة في الماضي، وتعقدت آثار الجريمة، وصعبت معالجتها.

٤- العولمة وتغيير المناهج التربوية والثقافية ومدى تأثيرها في المخالفات

ظهرت عجائب مسلكية جديدة في سياسة أمريكة مع العالم العربي والإسلامي وغيره، لم يألفها المجتمع، وهو محاولة تغيير العقليات، والزعم بأن ما سموه بالإرهاب في مفهوم الغرب ناشئ من التكوين التربوي الديني والثقافي، ولم يدركوا أن السبب الصحيح هو ممارسة الظلم الأمريكي للعالم الإسلامي في

معالجة قضاياه، وعلى رأسها قضية فلسطين، والمطلوب أن يعودوا لرشدهم، ويتوصلوا إلى حل جذري عادل وشامل لمشكلة السلام في الشرق الأوسط، ويتدخلوا بنحو موضوعي مجرد وحيادي مشرِّف، لإنقاذ شعب مظلوم منكوب، لم يفجع شعب في التاريخ بمثل نكبته ومثل المظالم المتلاحقة التي تمارس وتدبر ضده، ألا وهو الشعب العربي الفلسطيني، الذي يكال معه بمكيالين في السياسة والتصرفات، وكما تعامل به العراق وإيران، على العكس في معاملة دولة إسرائيل.

وكان من عجائب العولمة والمنطق الأخرق توجيه تهديدات لبعض البلاد العربية غير الخاضعة تماماً للنفوذ الأمريكي بضرورة تعديل مناهج التربية والتعليم في المدارس، وتغيير أسلوب الخطابة في المساجد والكنائس، والبعد عن كل ما يوجّه الانتقاد ووصمة العار إلى السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط[1].

وتسابقت بعض الدول العربية وأعلن بعض وزراء خارجيتها بأنه سيتم تعديل هذه المناهج وتغيير أساليب الخطابة، وربما يصبح ذلك مثل قضية الإرهاب وأفغانستان، فلقد ألصقوا تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ودفع بعضهم ثمن الخسائر المدبرة في خديعة أو مسرحية قصف وزارة الدفاع الأمريكية ومبنى التجارة العالمي، وتراكضت الدول العربية وغيرها لإعلان البراءة من هذه التهمة، وشجبها، والتبرؤ من فاعليها، وانطلى الإشكال وسوء الوضع والاتهام، بسبب التعتيم الإعلامي على إخفاء الحقيقة، وإظهار إعلام مضاد مدبلج، لتنجح العولمة في تحقيق مطامعها وسياستها الماكرة.

وأفرزت العولمة «الجريمة الدولية» بسبب مظالم أمريكة وتدخلها في شؤون الشعوب الأخرى، بل إنها نفسها مارست هذه الجريمة، سواء فيما سموه

(١) من الغريب والعجيب أن البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) تعد السعودية العدو الأكبر، كما قرأت في جريدة الرأي الأردنية في ٢٠٠٢/٨/٥م، وإن كانت سياسة الحكومة على عكس هذا، كما يدل الخبر.

بـ«الإرهاب الدولي» في مظلة العولمة الأمريكية ومظلة العولمة الصهيونية، وساندت أمريكة - بوش بكل ثقلها المظالم الإسرائيلية المتنوعة في فلسطين، وأيدت سياسة الجناح الهندي الهندوسي المتطرف في نزاع كشمير مع الباكستان، وضد المسلمين، واعتدى الجنود الأمريكان على بعض نساء المسلمين في البحرين وغيرها، وفي أفغانستان وغيرها، مع أن المسلمين في عالميتهم كانوا أطهر الناس عرضاً وصوناً للشرف وترفعاً عن سفساف الأخلاق والدنايا، حينما فتحوا بعض البلاد الأخرى، بسبب اعتداءات الفرس والروم على الوجود الإسلامي الناشئ.

إن جريمة الفاحشة أو الزنا أو الشذوذ الجنسي أو الخيانة الزوجية في الأديان السماوية لم يعد لها وجود في المفهوم الغربي للعرض، فكيف يصح قبول العولمة وما تصحبه من مخازٍ ومثالب، وتسلط وهيمنة، وما تضمه في جناحيها من عولمة رأسمالية كنظام اقتصادي، وعولمة علمانية كمنهج اعتقادي، وعولمة عنصرية كسياسة اجتماعية، وعولمة انحراف أخلاقي، بإفراز ألوان الجريمة وإقرارها بأنواعها[١].

وليس الأمر خاصاً بالمسلمين، فثمة خصوصيات ثقافية لكل شعب أو أمة، فكيف يستطيع منفذو العولمة تجاوز هذه الخصوصيات، وتغيير العقليات، وتعديل المناهج التربوية والثقافية والوطنية؟ إن ذلك كله تمهيد لتصدير فن الإجرام.

إن العولمة الثقافية تعني تغريب الثقافات[٢] الوطنية عن طريق قوى الإعلام والتقنية الجديدة وانتشار التوكيلات التجارية في أسواق الخليج وغيره، وفي بلاد مختلفة في آسية وإفريقية. وهي نوع من الغزو الفكري والثقافي والقيمي، على مستوى العالم كله وباسم العالم كله، وتفرض أنموذجاً معيناً ونمطاً محدداً في التفكير والقيم والسلوك، وهو أنموذج الأقوى والأغنى والأقدر مادياً

(١) العولمة، د. فتحي يكن، ورامز طنبور، ص١٩.

(٢) الثقافة: هي النشاطات أو السلوكيات التي يتفاعل بواسطتها الفرد من جميع جوانبه الإنسانية مع المجتمع، وهي التي تسمح للمجتمع بتكوين ميزاته الخاصة.

وتكنولوجياً أو تقنياً، وهذا وحده يكوِّن مفهوم الجريمة المتكامل. وإذا كانت أغلب الشعوب لا تقدس قيماً معينة إلا على أنها مجرد أعراف ومصطلحات وقيم ومنافع تجارية، فإن المتضرر الوحيد والذي تمسّه الجريمة بمفهومها الغربي والشرقي مباشرة هم المسلمون وكل من يدين بدين سماوي حق، لأن المتدينين يحتضنون ثقافة وأخلاقاً وقيماً وسلوكيات نابعة من العقيدة، وجوهر العبادة، وتميز الأخلاق، ومصداقية المعاملات على أسس شرعية، مع التزام قاعدة تماسك نظام الأسرة، بل والتأثير على العلاقات الدولية الداخلية والخارجية[١].

وهذا تفريخ للجريمة، وتشجيع على ارتكابها، وتهديم لمقدرات الشعوب ومساس بمقدساتهم.

والستار المحرك لنشاط العولمة وتسهيل انتشارها يتمثل في عدة مؤسسات عالمية، منها اتفاقية الغات عام ١٩٩٤م، وأداة تنفيذها المنظمة العالمية للتجارة التي أنشئت في أول تموز/يوليو ١٩٩٥م، وبدأت بزعامة أمريكة الشمالية تمارس نشاطها في البلاد العربية وغيرها، لتسهيل الاستثمارات العالمية وهيمنتها على شركات الاستثمار المحلية أو الوطنية، وإضعافها من خلال التوجيه نحو اندماج الشركات العالمية لتحقيق وفر اقتصادي أعلى، وإعطاء التكتلات الجديدة عابرة القارات فرصة أكبر للمنافسة في أسواق العالم[٢]. وهذا يتبعه تغيير في مفهوم الجريمة وتنوعها.

٥- العولمة والإبقاء على المصالح الأمريكية ومحاولة هيمنة أمريكة على العالم وما ينجم عنه في نمو ظاهرة الإجرام

العولمة إحدى أشكال الهيمنة الغربية الجديدة بقيادة أمريكة الشمالية والمعبرة

(١) العولمة والأخلاق للباحث، ص٤-٥.

(٢) بحث «العولمة والهوية الثقافية الإسلامية» للدكتور عبد اللطيف الصباغ، ص٦، وبحث (ما العولمة؟) للدكتور حسن حنفي، والدكتور صادق جلال العظم، ص٤٠ وما بعدها.

عن المركزية الأوربية المعاصرة، ولها مظاهر متعددة تتبنى أشكال الاستعمار الجديد الذي بدأ يظهر في أواخر القرن العشرين بقوالب ومسميات حديثة مثل مناطق النفوذ، والأحلاف العسكرية، والشركات المتعددة الجنسيات، واتفاقية التجارة العالمية أو الخارجية، واقتصاد السوق، ومجموعة الدول الصناعية الثماني، والعالم ذي القطب الواحد، وثورة الاتصالات، والعالم قرية واحدة.

وتظهر آثار العولمة الاقتصادية في إحكام الحصار حول مناطق الاستغلال الاقتصادي أو السياسي، أو الحضاري، كحصار العراق وليبية، ومحاولة تجزئة السودان، وتهميش مصر، وتهديد إيران وسورية ولبنان وكورية.

وتحاول عولمة الثقافة الترويج لكل معطيات الحضارة الغربية المادية، وإشاعة أنماط الاستهلاك الغربية، وفتح أسواق جديدة للصناعات الغربية، وتصوير الحياة بأنها متعة ورفاهية واستهلاك لطيبات الحياة[1].

إن التفكير الناجم عن أصحاب العولمة بزعامة أمريكة الشمالية يقصد منه فرض النفوذ الأمريكي القوي عسكرياً واقتصادياً على كل أنحاء العالم بأساليب متعددة، ومما لا شك فيه عملاً بسنة التدافع، وأن لكل فعل رد فعل معاكس، وكون الهدف من العولمة صهر العالم على وفق التصور الأمريكي، فإنه ستظهر مصادمات في تطبيق هذا التصور، ثم ردود فعل انتقامية وطنية وعالمية، تظهر بالذات على مسرح الجريمة وتؤدي إلى ألوان مختلفة من الإجرام.

والسبب هو أن مقاومة العولمة أمر بدهي وضروري من الناحية الشرعية الإسلامية التي تؤجج نار الحماس لإثبات الذات، واحترام الخصوصية الثقافية، والحفاظ على الإرادة الوطنية أو الاستقلال الوطني، ومراعاة الاعتبارات أو القيم الإسلامية، والمحافظة عليها، والحرص على تنمية الشعور الديني، وتقدير مدى الحساسية المفرطة للعواطف والممارسات الشرعية، وكل ذلك يؤدي إلى الاحتكاك والتصادم، ثم ارتكاب أنواع من الجريمة، للدفاع عن الوجود والتراث

(١) المرجع السابق، ص٢٧، ٤٠-٤١.

والقيم الأصيلة التي زرعها الإسلام في نفوس أبنائه، وغذَّاها أتباعه في مظلة أخلاقه وآدابه، والتزام شرائعه وأحكامه.

وينبغي ملاحظة أن أمريكة في الواقع لا تشجع حوار الحضارات والثقافات، وإنما تروج لصراع الحضارات، حفاظاً منها على العولمة - كما تراها هي - لكن كل صراع ينشب عنه صدام، وكل شرارة صدام، ينجم عنها عدة جرائم.

٦- العولمة والترويج لظاهرة الانحراف بتعاطي المخدرات وتناول المسكرات واقتراف سائر أنواع الجرائم

إن العولمة ذات أبعاد مختلفة، كما تقدم، لأن الضعيف يقلد دائماً القوي، حتى إنها تشمل عولمة الرياضة (المونديال) وعولمة تجارة المخدرات وتعاطيها، ومعاقرة المسكرات وجعلها مظهر تحضر وتقدم في الموائد الرسمية وغيرها، وهذه في نظامنا الشرعي الإسلامي محظورات ومنكرات بل جرائم، لأنه «لا ضرر ولا ضرار»[(١)]، و«الخمر أم الخبائث»[(٢)]، و«مدمن الخمر كعابد الوثن»[(٣)]. ولا تختلف المخدرات عن الخمور في شيء من الحكم الشرعي والأضرار الناجمة، بل إنه على الرغم من تحريم الاتجار بالمخدرات دولياً، فإن أكثر عصابات المخدرات وتهريبها وتعاطيها هي من أمريكة وأوربة، والعولمة تشجع عليها، بدليل ما تحرص عليه هذه الدول من إلهاء الزنوج في أراضيها بالمخدرات، ولإبقائهم متخلفين، وتعطيل إسهامهم ونشاطهم في الحياة العامة، وفي الوظائف الرسمية غالباً، ودفعهم نحو الرقص والغناء والخدمة في المطاعم والنوادي الليلية، ودور الحكومة، والملاهي العامة.

---

(١) حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً، ومالك في الموطأ مرسلاً، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد من حديث ابن عباس، وابن حبان عن سعيد بن جبير، وهو صحيح.

إن ظاهرة تعاطي المسكرات وتناول المخدرات سبب في كثير من الجرائم كالقتل واغتصاب الفتيات، والنهب والسطو، ومهاجمة الآمنين في منازلهم ومتاجرهم وسياراتهم، وارتكاب حوادث السير في الناقلات، وإفساد الضمائر والأخلاق، وانتشار الرشوة، وتنشيط تجارة السلاح والتشرد، وغير ذلك من الجرائم التي تصاحب العولمة، ويرفضها الإسلام، وينبذها ويحاربها كل المسلمين.

فإن تورَّط بها مسلم، كان تورطه بها ناشئاً غالباً من تقليد الغربيين، ودعاة العولمة، ومصاحبة الفجرة والمنحرفين، ومعاشرة الفنانين، والانحراف عن هدي الإسلام وتعاليمه.

إن أخطر ما يرافق العولمة هو انتشار الجرائم الدخيلة التي هي إما مألوفة في الوسط الغربي، أو لا تعد جريمة لديهم، ولكنها جريمة في الوسط الإسلامي، مثل جرائم القذف والعرض وشرب المسكرات، وذلك يثير غاية الحساسية والاستهجان في بلادنا، فتكون العولمة مصدر تشويه القيم ومصادمة الأصول الدينية، ومنها جريمة الردة والزندقة والمساس بالعقيدة الإسلامية.

٧- العولمة ومحاولة القضاء على روح المقاومة ضد التدخل الاستعماري

إن اجتياح العولمة المصحوبة بأفكار الغربيين المناقضة أو المعارضة لأصول الحق، وشرعة العدل، ومنطق الإنصاف، ورعاية حقوق الإنسان الأساسية يعد ضرراً محققاً لمصالحنا، وإقراراً للجرائم المختلفة التي تقر المعتدي في اعتدائه، والمغتصب في غصبه مثل اليهود في فلسطين.

والأمثلة كثيرة في الحقبة الأخيرة في ديار العرب والمسلمين، وفي قمتها قضية العدوان الإسرائيلي المستمر على حساب الشعب العربي الفلسطيني، والاعتداء الهندي على مقاطعتي جامو وكشمير، واعتداء الصرب على البوسنة والهرسك، والإجرام الروسي المتتابع على الشيشان، وكذلك الوضع في إفريقية؛ كالاعتداء على السودان (مصنع الدواء)، وتأييد حركة الانفصال

الجنوبي بمؤازرة الجنرال «قرنق»، والاعتداء على الصومال، وتهديدات الشعب الأرتيري ومساندة الحبشة ضده، وغير ذلك من الأمثلة.

لقد وصفت أجهزة الإعلام الغربي أعمال الوطنيين ومقاومة الشرفاء بالإرهاب الدولي، وأما جرائم الاعتداء على المسلمين في هذه البلاد فوصفت بأنها ممارسة لحق الدفاع المشروع عن النفس، وهو قلب للأوضاع، وتغيير للمفاهيم، والأخذ بقاعدة ازدواجية السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على حساب الكرامة العربية والإسلامية، مع تأييد بعض الدول الغربية مثل بريطانية في هذا.

والقصد من استمرار العدوان واضح، وهو تعطيل روح الجهاد، وتجاوز مفهوم المقاومة ضد المعتدين، وتأييد جرائم الصهاينة، وتمرير أساليب التدخل الاستعماري، وتهويل أنشطة المقاومة، ووصفها بالتخريب والتدمير وإجهاض الأعمال السلمية العربية، مع أن العكس هو الصحيح.

لقد أدى وجود هذه الظاهرة في قلب المفاهيم الاستعمارية، وفرض منطق العولمة الغربية، إلى شيوع الجريمة، وكثرة إراقة الدماء الزكية، وتهجير السكان، وتدمير المنازل، وحصار الآمنين، والبطش بالمدنيين والنساء والأطفال من سفاحي الدماء وعلى رأسهم شارون ومعه عصابة وحوش مجرمي الحرب، من الصهاينة وأمثالهم الذين تؤيدهم أمريكة على المكشوف، وما يزال نزيف الدم العربي أو الإسلامي يسيل في كل المناطق والبلاد الآسيوية والإفريقية والعربية أمام نظر العالم، وتعجز الأمم المتحدة ومجلس الأمن عن فعل شيء يذكر لوضع حد للعدوان والإجرام الصهيوني، والعودة لمفاوضات السلام القائمة على الحق والعدل ومرجعية مدريد في إسبانية، وتفعيل كل الاتفاقيات الدولية، واتفاقيات السلطة الفلسطينية مع الصهاينة في أوسلو وغيرها.

وإزاء هذا، ستظل المقاومة ضد الغاصبين والمعتدين قائمة، حتى يحقق أصحاب الحق مآربهم، ولكن هذا يتطلب تضحيات كثيرة ومتواصلة.

٨- نزعة التفوق العرقي والاستكبار العالمي بقيادة أمريكة وصانعي العولمة، وأثر ذلك في ظاهرة الإجرام

العالم المعاصر يعيش في ظل المساواة، وترفض الشعوب المختلفة ظاهرة التمييز العنصري أو العرقي أو اللوني، فكل الناس على قدم المساواة ويرفض الجميع منطق الترفع أو التفوق أو الاستعلاء بأي شكل كان.

ولكن النشاط الذي تمارسه أمريكة والغرب التابع لها ما يزال تسيطر عليه نزعة التفوق العرقي والعنصري والعسكري والسياسي والاقتصادي والاستكبار والغطرسة، ويتم التعامل مع الدول الأخرى من خلال هذه النظرة الفوقية، ويحلو لهم تركيع الشعوب الضعيفة، والرضوخ لمبدأ القوة والاستعلاء، والإذعان لأوامر أمريكة الشمالية.

وهذا خطأ محض، لأن القوة المحتلة بالمنطق والعقلانية والاعتدال واحترام الآخرين هي التي يضمن لها البقاء والاستقرار والنجاح، وأما القوة الغاشمة فسرعان ما تتحكم أمام صلابة الشعوب، وهذا كاف لتزايد الجريمة.

وترفض الدول والشعوب الحديثة في الغالب أي مساس بسيادتها وكرامتها وعزتها، ولا تسمح لأي دولة مهما زاد نفوذها وتفوقت قوتها أن تنال من كيانها أو تخضع لسيطرة غيرها عليها.

وتكون العولمة على النحو المخطط له الآن سبباً لارتفاع نسبة الجريمة، وتزايد المجرمين، وكثرة المعتدين على الأنظمة أو القادة أو الأفراد العاديين أو الاقتصاديين أو التجار وغيرهم.

وتظهر بين الحين والآخر ردود فعل مختلفة لمواجهة سياسة الاستكبار العالمي، وحب السيطرة، وتوسيع دائرة النفوذ التي تمارسها أمريكة، مثل اتخاذ مواقف معينة من هذه السياسة، ومقاطعة البضائع الأمريكية، وإفشال المخططات الاقتصادية، وتهديد بعض الدول العربية أو الإسلامية، ونحو ذلك.

وقد تتخذ الشعوب مواقف إجرامية ضد المصالح والممتلكات الأمريكية، أي إن الجريمة تتزايد، والأضرار تكثر، والدمار يعم الغالب والمغلوب، والقوي والضعيف.

إن الأمة الإسلامية تؤمن بأن مصير المتألهين والمستكبرين إلى الدمار والخراب والزوال، ومصدر هذا الإيمان هو القرآن الكريم الذي قص علينا قصص الفراعنة، وقوم نوح وعاد وثمود ولوط، وشعب مدين، وغيرهم، وهذا يغري المقاومين بصلابة المواقف، ومواصلة الجهاد، والصبر والتضحية، حتى يظفروا بالنجاح، وهزيمة المتكبرين، وأكتفي بهذه الآيات الكريمة:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٤٢].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٨٩/ ٦-١٤].

ويؤكد ذلك الحديث النبوي الصحيح: «إن الله تعالى ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»[1]. وقديماً قال أهل الحكمة: «لو بغى جبل على جبل لدك الباغي».

لا شك بأن مرتع الظلم وخيم، ولكن دفع الظلم، ومقاومة الباطل يترتب عليها منازعات، ووقائع اقتتال، وألوان من الجنايات المشروعة كالدفاع عن النفس والبلاد أياً كانت الأنفس والأموال، أو المدن والديار، أو المنشآت والمؤسسات، أو المتاجر والمصانع والمزارع، وتلك خسارة للمجتمع برمته.

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

٩- تقويض وجود الدولة الإقليمي وتبديد الثقافات المحلية، وتهيئة مناخ أوسع للجريمة

برز وجود الدولة الإقليمي مع ظهور الدول الحديثة في القرن السابع عشر وما بعده منذ مؤتمر وستفاليا سنة ١٦٤٨م، وأصبح الإقليم أحد أركان الدولة مع الشعب والسيادة، واستقلت أغلب الدول في النصف الثاني من القرن العشرين وما قبله، وتميزت الشعوب باختلاف ألوانها وألسنتها ورقعة أراضيها التي تقيم فيها، واتسع تميزها باختلاف ثقافتها، فالثقافة هي المحتوى الحركي الإنساني للحضارة من علوم وفنون وعلاقات وتصورات وقيم، وأصبحت ثقافة كل شعب شبه مقدسة، ومعبرة عن كيان الأمة وذاتيتها، ومحددة مفاهيمها وقيمها التي يلتزمها مجموع الناس، وتصاغ السلوكيات والمواقف في ضوئها، فيفرق فيها بين الخير والشر، والحق والباطل.

فالثقافة روح الأمم، وتشمل جوانب الحياة وأنماطها كافة شرقاً أو غرباً، في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وقد تلاقحت الثقافات قديماً وحديثاً، فتطور العمران وتفاعلت الحضارات، ولكن مع تميز طابع كل ثقافة على حدة، وصار التبادل الثقافي شيئاً محموداً، مع بقاء ثقافة كل أمة متميزة، تأخذ من الثقافات الأخرى أو ترد.

ولكن برز في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين مدّ ثقافي باتجاه واحد، وهذا ما يتمثل بالعولمة الثقافية الساعية لجعل كل البشر على طراز واحد للنموذج الأمريكي، أو السير في ركابه، والهيمنة على الآخرين.

وهذا أحدث أنواع السيطرة الغربية، وهي حصيلة فترات من الاستعمار الغربي الذي رافقه الاستشراق والتبشير ووسائل الإعلام والبعثات الدراسية، استطاع الغرب من خلالها بسبب تخلف الشعوب الأخرى، ومنها العالم الثالث والعالم الإسلامي، تسخير تلك الشعوب للغرب بوسائل الإعلام المتطورة، وأساليب التعامل الغربي، وتحول الضخ الثقافي إلى غزو ثقافي واضح المعالم،

فبرزت العولمة الثقافية التي نشهدها اليوم، ورافقها تشويه صورة الإسلام الذي صار في رأس سلم الأولويات، وانتقل إلى مرحلة العلنية والهجوم، وأصبحت وسائل الإعلام والنظام السمعي - البصري هو النظام المسيطر في العولمة الثقافية[١] بالإضافة إلى تصريحات غريبة من الرئيس الأمريكي الحالي بوش، كضرب العراق ومحاولة إسقاط النظام العراقي بقيادة صدام حسين.

ولم يكن تحقيق أهداف العولمة إلا باقتحام حدود الدولة الإقليمية، لزرع الثقافة الغربية الأمريكية فيها، وإحلالها محل الثقافات المحلية، ولكن شعوب هذه الدول الإقليمية رفضت كل غريب عنها، وبدا احتمال وجود صراع حضاري وتصادم ثقافي بين الغرب والعالمين العالم الثالث والعالم الإسلامي والعربي، وهذا يؤدي عادة إلى رد فعل جنائي، وتوالد جرائم متنوعة، وتعقيدات سلوكية، وتهيئة مناخ جديد وواسع للجريمة بأشكالها المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والذي يمسنا مباشرة أو يتعلق بنا هو وجود تعارض واضح بين مفهوم الجريمة في الغرب ومفهومها في الإسلام، من خلال تقسيم الجرائم في الشريعة الإسلامية إلى ما يوجب الحدود (العقوبات المقدرة شرعاً) وما يوجب التعزير (العقوبة المفوضة إلى ولاة الأمر) كما تقدم بيانه.

وحصيلة ذلك كله تفريغ المنطقة الإسلامية والعربية من أعز وأجل مقوماتها، وتمكين الصهيونية العالمية والغربية من السيطرة على ثروات هذه المنطقة، وتسخيرها لأهواء التحالف الأمريكي والصهيوني، حتى تتحقق أطماع أمريكة والصهاينة، وتصير الشعوب الإسلامية والعربية فاقدة أبسط مقومات البقاء والحياة والعزة والسيادة، وهي أسوأ بكثير مما عليه الآن أوضاع الحكومات العربية من تفرق وتشتت وضياع ومذلة وهوان.

ولكن هذه الأحلام الخيالية أحياناً سرعان ما تتبدد، إذا حدث التصادم مع

(١) العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، د. فتحي يكن وطنبور، ص٣٤-٣٩، المرجع السابق.

الغضب الشعبي العارم، وبرز إلى الوجود جيل متمرد، وانفلت زمام قيادة السلطات الحاكمة، وتفجرت الأرض كلها ببراكين الثورة العارمة المدمرة، لمواجهة أطماع دعاة العولمة وسماسرة السياسة الأمريكية الجديدة.

١٠- العبث فعلاً بمعايير حقوق الإنسان، والإبقاء على مجرد الشعارات وأثر ذلك في ظاهرة الإجرام

يحتفل العالم المعاصر كل عام بالعاشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) لعام ١٩٤٨م بمناسبة إعلان ميثاق حقوق الإنسان العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، وهو إعلان حضاري رائع، عدا التحفظات ضد بعض أحكامه من بعض الدول العربية - الإسلامية كالسعودية، وقد تلقى العالم هذا الإعلان بالراحة والاطمئنان، ولا سيما في البلاد التي عانت من ويلات الحربين العالميتين الأولى والثانية.

غير أن كثيراً من مبادئ هذا الميثاق وقواعده ظلت شعارات، حتى في أحضان الديمقراطية الغربية ودولها التي تجاوزت كثيراً من الاعتبارات الإنسانية، حينما تصطدم مع مصالحها، مما أدى إلى بروز ظاهرة الإرهاب في بعض البلاد بالمفهوم الغربي، وهي في الواقع ظاهرة المقاومة المشروعة لتحديات الغرب بزعامة أمريكة، وحدثت من ثم جرائم شنيعة، قام بها أناس مقطوعو الصلة فعلاً بالإسلام، ولا سيما في الجزائر.

وكان رد بعض الدول العربية لمجابهة التحرك الإسلامي ضد الظلم والتمييز الفئوي أو التعصبي شديداً وقاسياً ومتجاوزاً كل القيم الإنسانية.

وحدثت جرائم متعددة داخلياً وخارجياً خطط لها الصهاينة ونفذوها فعلاً من قتل واغتيال وتشريد وهدم بسبب معاناة الشعب الفلسطيني المريرة، في مواجهة اليهود العنصريين الذين جردوا هذا الشعب المغلوب المقهور من كل وأبسط حقوق الإنسان.

وزاد الأمر سوءاً في ظل العولمة الثقافية والدراسات الاستشراقية المشوهة

والمتحيزة أو الخادمة للاستعمار حين زعموا أن جرائم الحدود في الإسلام، وبعض أحكام الأسرة في الإسلام، تتعارض مع شرعة حقوق الإنسان العالمية في الحياة، والحرية، والكرامة الإنسانية، والعدالة[١].

وصدرت تصريحات رسمية من بعض قادة الدول الغربية وأمريكة تتضمن حملة شعواء على الإسلام بعد وقبل انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٩م، وأعلن الرئيس الأمريكي بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م الحرب الصليبية على المسلمين، وإن تراجع عن تصريحه، وهددت بعض الصحف الأمريكية بضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية، وإن اعتذرت حكومة أمريكة عن ذلك.

ودوافع هذه الحملة المشوهة لموقف العرب والمسلمين هو التعصب والحقد والعنصرية، ومحاولة التمهيد لاجتياح العولمة الثقافية والاقتصادية كل أجزاء المنطقة العربية والإسلامية.

وربما تؤثر وسائل للإعلام الغربية المختلفة في إضعاف الشعور الإسلامي لدى بعض الساسة أو الأفراد العاديين من أمتنا، مما يدفعهم إلى ضرورة تجاوز النظام الجزائي في الإسلام، من حدود وتعازير، وتطبيق القوانين الوضعية الغربية المصدر، وتعديل المناهج، وإلغاء كل ما له صلة بالجهاد أو باليهود في القرآن والحديث النبوي.

وهذا بالفعل أثَّر تأثيراً واضحاً في نسبة وقوع الجريمة ونوعيتها في البلاد العربية فيما عدا البلاد التي تطبق الحدود الشرعية كالسعودية وإيران والسودان والإمارات.

وأدى ذلك الاتجاه التغريبي بتأثير العولمة إلى غرابة النظام الجزائي الشرعي وإبعاد تطبيقه عن الساحة الفعلية، مراعاة للنظام العالمي الجديد.

ويمكن القول أخيراً من منظار إسلامي: إن المنطقة الإسلامية تعيش في غليان واضطراب وتفرخ الجريمة في جوانبها، نتيجة سيل العولمة الطاغي، وظهور

(١) الفقه الإسلامية وأدلته للباحث: ص٥٣٢٣ وما بعدها، ط الرابعة المعدلة.

حركة هستيرية في الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وهذا يقتضينا الوقوف بحزم وحذر أمام العولمة بشُعَبِها المختلفة حتى لا تزداد نسبة وقوع الجريمة، بسبب شيوع المظالم الكثيرة، ومحاولة النيل من الوجود الإسلامي العزيز، والاتجاه العربي الكريم الذي تحرص عليه بعض دول المنطقة، وارتمت دول عربية وإسلامية أخرى في آسية وإفريقية في دوامة التغلغل الصهيوني أداة تنفيذ العولمة الأمريكية في المنطقة التي نجحت في إيجاد تبادل دبلوماسي وقنصلي من ثمانية دول عربية مع الكيان الإسرائيلي البغيض.

والخلاصة

توجد أسباب مباشرة وغير مباشرة، دولية ومحلية لظاهرة الإجرام من الناحية الشرعية، ولا سيما فيما يخص نظام العولمة في عصرنا الحاضر.

وأهم أسباب الجريمة المباشرة الناجمة عن العولمة ما يأتي.

١- تمييع المفاهيم الجزائية الفكرية وتشويه الأفكار حول الأنظمة المعتدلة، والاستخفاف بالعقاب المقرر في القوانين الوضعية في بعض الأحيان.

٢- شمولية النظام الغربي أو الأمريكي وتدخله في مختلف عادات الناس وتقاليدهم في تحديد مفهوم الجريمة وأسلوب الإقدام عليها.

٣- تجاوز العولمة مختلف الخصوصيات المحلية أو الإقليمية، والقيم الدينية والخلقية للشعوب المختلفة، ولا سيما الشعوب الإسلامية والعربية.

٤- محاولة القائمين على العولمة بقيادة أمريكة الشمالية تغيير العقليات والمناهج التربوية والثقافية، وإهمال التراث.

٥- حرص أمريكة على بسط نفوذها، وحب الهيمنة والسيطرة على العالم، لتحقيق مصالحها واستمرارها في دعم اقتصادها وتصدير منتجاتها وفتح أسواق عالمية لبضائعها، والاستيلاء على مصادر الثروة النفطية والمعدنية.

٦- الترويج لظاهرة الانحراف بتعاطي المخدرات وتناول المسكرات والإغراء بتلاقي الجنسين الشباب والفتيات دون ضوابط أو أسس شرعية مقررة.

٧- تحالف العولمة الأمريكية والعولمة الصهيونية في إذلال الشعوب العربية والإسلامية، وإضعاف البنية الاقتصادية، وهدم نظام الأسرة.

٨- العمل على إضعاف أو استئصال روح المقاومة ضد التدخل الاستعماري، واتهام المقاومين بممارسة الإرهاب بالمفهوم الغربي.

٩- تشويه صورة الإسلام على المستوى العام، والتركيز على صراع الحضارات، وعدم التوجه نحو الحوار الحضاري والثقافي، وإضعاف تأثير الإسلام على أبنائه.

١٠- نزعة التفوق العرقي والعنصري والاستكبار العالمي عند أمريكة وحلفائها.

١١- تجاوز الحدود الإقليمية للدولة وطمس معالم الثقافة المحلية، وتغيير أنماط السلوك والآداب، وامتداد أفق العولمة الثقافية بالذات.

١٢- العبث بمعايير حقوق الإنسان، وإبقاء الشعارات، وتفضيل المصلحة الاقتصادية والنفوذ السياسي، وإهدار حق الإنسان غير الغربي.

وأما مدى تأثير هذه الأسباب المصاحبة لظاهرة العولمة على الجريمة فهي ما يأتي:

١- ارتفاع معدل أو زيادة وقوع الجريمة في المجتمع الثالث والإسلامي والعربي كل عام، بسبب الضعف والفقر والتخلف، ومحاولة أمريكة عرقلة أي تصنيع ثقيل فيه.

٢- التنوع والتفنن في ارتكاب الجريمة، واستخدام أحدث وسائل العولمة (عولمة الإعلام، وعولمة المعلوماتية) في الإقدام على الجريمة والتخطيط لها، ولا سيما العلاقات غير المشروعة بين الجنسين، وجرائم المسكرات والمخدرات، مما يمنع الوقاية من الجريمة.

٣- تغيير مفهوم الجريمة وتغذية عوامل الانحراف بسبب عولمة الثقافة، وتعقيدات تكييفها وتحديد المحكمة المختصة بالمحاكمة.

٤- انتقال عدوى تقاليد الغرب وعاداته حول العرض والجنس والأخلاق

والتدين، وإطلاق الحرية للأهواء والشهوات التي تساعد على ارتكاب الجريمة بما يتصادم مع الأصول الشرعية، أي إن انعدام المشروعية أو ضعفها يؤدي إلى ارتفاع نسبة الجريمة وزيادتها دائماً، مثل إلغاء عقوبة الإعدام، وعدم تجريم خيانات الأسرة، وقصر العقوبة على السجن.

٥- ظهور جرائم جديدة محلية ودولية، كالإرهاب المحلي والدولي، واستمرار وجود العدوان ضد المسلمين في فلسطين وغيرها.

٦- الاستخفاف بفكرة الإجرام، وارتكاب جرائم وحشية وخطيرة من قبل أدوات تنفيذ العولمة، ولا سيما على يد الصهاينة في فلسطين والبلاد المجاورة، والصرب في منطقة البلقان، والهنود في جامو وكشمير، والروس في الشيشان، والأمريكان في إفريقية، ولا سيما السودان والصومال وأريترية.

٧- إيقاع بعض الدول في أزمة اقتصادية حادة كدول النمور السبعة في جنوب شرق آسية بسبب التآمر الصهيوني والأمريكي، وهو نوع من الإجرام الدولي.

٨- إضعاف الروابط الأسرية، والاعتداء على المحارم والجيران.

٩- هبوط المستوى التعليمي ولا سيما التطبيقي والتقني، مما يؤدي إلى كثرة الجرائم.

١٠- انتشار ظاهرة البطالة وما تسببه من جرائم الخطف والقتل والتخويف والإزعاج والإخلال بالأمن.

١١- التآمر على وجود بعض القادة ومحاولة عزلهم، إما بالانقلاب أو بالتدخل العسكري الأمريكي في العراق وإيران وفلسطين وسورية وغيرها.

المبحث الثاني - طموحات العولمة والفرق بينها وبين العالمية الإسلامية

ظهر مصطلح العولمة بتخطيط أمريكة الشمالية مع التحالف الدولي لضرب العراق بسبب احتلالها الكويت، وعقب سقوط المعسكر الاشتراكي عام ١٩٨٩م، وما يتضمنه من فلسفات وأنظمة، حيث أعلن الرئيس الأمريكي (بوش الأب) ميلاد نظام عالمي جديد، لتعميم بعض المفاهيم على بلاد العالم تتمثل في جوانب ثلاثة هي:

أ-تصدير نظام الاقتصاد الرأسمالي القائم على المنافسة الحرة، وتحرير الأسواق والتجارة، وعدم تدخل الدولة في ذلك.

ب- تعميم نظام الديمقراطية القائم على مبدأ حرية الانتخاب وحرية الأحزاب.

جـ- تعميم نظرية العولمة ذي المفهوم الغربي لحماية وتعزيز حقوق الإنسان والأسرة، على أساس عولمة الإعلام، وإيجاد عالم متقدم بمقتضى العولمة الثورية للتقنية (التكنولوجية) والسياسية والثقافية، من طريق مراقبة علاقة المواطن بالدولة، والتدخل في نظام الدول.

فالعولمة وافد جديد على العالم، أصاب مختلف جوانب الحياة الإنسانية، تحمل بعض جوانب الخير، وأكثر جوانب الشر.

وهي لغة: مأخوذة من كلمة «العالم» أي البشرية كلها، أي صياغة العالم من جديد. واصطلاحاً هي: صياغة العالم في مجال الاقتصاد والسياسة والثقافة، بحسب المنظار الغربي ومفهومه عن الكون والإنسان والطبيعة والحياة. وغايته الإفساد السياسي والهدم الأخلاقي على حسب معطيات التصورات الغربية، لجعل العالم سوقاً واحدة أمام المنتجات الغربية والاحتكارات العالمية والشركات الكبرى.

ومن **إيجابيات** العولمة تسهيل تحرك الصادرات الغربية وتنمية الثقافة، وإقامة نظام عالمي جديد تحفظ فيه الكرامة الإنسانية، وتصان فيه الأسرة، ولكن يؤدي

إلى تفكيك الأسرة وزعزعة أصول ثباتها، وتفعيل دور وسائل الإعلام (عولمة الإعلام) والتركيز على حماية حقوق الإنسان، وتقوية العلاقات بين الدول على أساس الاحترام المتبادل، والتركيز على دور الأسرة وحمايتها، ومحاكمة مرتكبي الجرائم الماسة بحقوق الإنسان، فأنشئت محكمة الجنايات الدولية في ١٧/٧/١٩٩٨ لأربع فئات من الجرائم: جرائم الإبادة، والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب، وجريمة العدوان.

العولمة إذن هي محاولة فرض نموذج اقتصادي وسياسي وثقافي معين على جميع بلاد العالم، دون مراعاة لمبدأ سيادة الدولة وحريتها في تحقيق مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وبعبارة أخرى؛ العولمة: هي تعميم النمط الحضاري الأمريكي الرأسمالي على جميع بلدان العالم وشعوبه، لتحقيق الهيمنة على الثقافة والسلوك والاقتصاد والسياسة، فهي نوع من الاستعمار الشامل والغزو الفكري والثقافي والاقتصادي على العالم كله.

وهي تستعين بوكالات الأمم المتحدة للتنمية والثقافة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وجميع وسائل الإعلام، وأجهزة المخابرات وغيرها كالشركات المتعددة الجنسية ومؤسسات الاستشراق والتبشير في الماضي، ووكالة الأنباء والمؤتمرات والمؤسسات الدولية والسياحية والتعليمية، لسلخ كل وجوه الانتماء بعولمة ثقافية.

وتعتمد أمريكة في إنجاحها خطتها في العولمة على قوتها العسكرية والاقتصادية وتقدمها التكنولوجي ونفوذها العالمي.

هذه هي العولمة الأمريكية، ومعها عولمة صهيونية تتطلع إلى السيطرة على ثقافة العالم واقتصادياته، من طريق حركة البورصة العالمية، وامتلاك أضخم الشركات العالمية.

والعولمة الغربية الرأسمالية الليبرالية ذات أبعاد ثلاثة هي:

- الأبعاد السياسية: أي التحول للنظام الديمقراطي.

- الأبعاد الاقتصادية: أي عالمية الاستثمار وحرية انتقال رؤوس الأموال، وتحرير التجارة العالمية، ونقل التكنولوجيا.

- الأبعاد الثقافية: أي صياغة مفاهيم وقيم وأنماط سلوك بحسب الطريقة الغربية، بوسائط الاتصال الحديثة ومن أخطرها القنوات الفضائية[١].

ما بين العولمة والعالمية

العولمة الأمريكية تهدف إلى السيطرة على العالم بأساليب مختلفة، ومحاولة إلغاء معالم الأفكار السياسية المحلية، وتجميد الاقتصاد المحلي، وطحن الثقافات الأخرى، سواء أكانت نابعة من الأعراف والتقاليد، أم الفلسفات، أم المذاهب، أم الأديان، حتى بين الشعوب الأوربية والأمريكية والعالم الإسلامي المرتبط بأصول ومصادر ثقافية ودينية إلهية وأكثر الناس تضرراً هو العالم الإسلامي، لما يترتب على تيار العولمة من إلغاء الثقافة الإسلامية أو تشويهها.

وقد أحسَّ العالم كله بخطورة العولمة، مما جعل أغلب الشعوب يحتج عليها ويرفضها، ويلجأ بعض الدول إلى اعتماد مبدأ الاستثناء الثقافي، مثل فرنسة وكندة، سواء في مجال الإنتاج السمعي والبصري حيث استثنت كندة ذلك من اتفاقية التبادل التجاري، واستثنت فرنسة ضمان حماية اللغة الفرنسية والإبداع الثقافي الفرنسي كالأفلام والمسلسلات والبرامج الفنية المختلفة.

إن علينا في بلاد الإسلام أيضاً العمل على حماية القيم الدينية والأخلاقية، والأسرية، ثم تنمية الثقافة الخاصة، وأن نركز على الإبداع والحرية والتحرير والاعتدال والوسطية في مجال الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية، واللجوء إلى الحوار وإثبات الذاتية الشخصية الحضارية.

إن هناك فروقاً جوهرية بين العولمة والعالمية الإسلامية، فالعولمة مقترنة

(١) العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، د: فتحي يكن ورامز طنبور، ص١٠، ١٤، ٢٤.

بالأطماع واستنزاف الثروات وإبقاء التفوق الغربي في جميع أنحاء الحياة، والتدخل في شؤون السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام.

ومن الأمثلة الواقعية ما أعلنته أمريكة من خطة لتغيير مناهج الدين واللغة والتاريخ في الدول العربية، فيما أعده خبراء سياسيون أمريكيون أطلق عليهم «مجموعة ١٩» من تقرير مهم وخطير رفعوه إلى جهاز الأمن القومي الأمريكي أسموه «مفهوم الجوانب النفسية للإرهاب الإسلامي».

وأشارت الدارسة إلى أنه في كل خمسة عشر عاماً تظهر مجموعات جديدة من الإرهابيين تحمل خصائص أكثر عنفاً ودموية من المجموعات التي سبقتها.

وتخضع هذه الدورة الزمنية كل خمسة عشر عاماً لعوامل نفسية أولها **القرآن**. وإذا كان تغيير القرآن متعذراً عملياً، فيمكن من خلال **تفسير القرآن** تنفيذ المطالب الأمريكية، وذلك بالتحديد في مصر والسعودية.

وتقول الدراسة: «نحن لن نستطيع أن نغير من فحوى القرآن، ولكن علينا التدخل لإفراغه من مضمونه».

وقد أوصت الدراسة بتوصيات للإدارة الأمريكية لتنفذها وهي:

١- **العمل على أن يظل الدين محصوراً بين الفرد وربه** دون أن يتعرض الأمر إلى أكثر من ذلك، مع السعي إلى **إبعاد المسلمين عن أي دور حضاري أو سياسي أو نضالي**.

وهذا ما اتفق عليه أقطاب أمريكة وأوربة منذ سنوات بطلب من الوزير الأمريكي الأسبق كسنجر.

٢- **التدرج في تغيير المناهج التعليمية في البلدان العربية**:

أ- **مرحلة التعليم الابتدائي**: يتم تغيير محتوى المادة الدينية الإسلامية ليطلق عليها «الثقافة الدينية» لإعطاء صورة إيجابية عن الفضائل الأساسية للديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية، والتأكيد على دور كل الديانات السماوية في بناء الحضارة الإنسانية.

على أن يمتد التغيير إلى مناهج اللغة العربية وبخاصة النصوص الأدبية، لأن هذه تحض على كراهية الآخرين، وتصور العربية بصورة المقاتل الشرس، وتبث الكراهة تجاه الغرب وكل ما هو أمريكي وأوربي وحتى دولة الجوار «إسرائيل».

ولا بد من تغيير مناهج التاريخ، والتركيز على تاريخ الثورات العلمية في العالم.

ويجب ترسيخ إيجابيات الحضارة الغربية ودورها الرائد لدى الشعوب العربية والإسلامية.

وهذه المفاهيم يجب أن تمتد إلى المدرسين والمسؤولين عن التعليم.

ب- **التعليم الإعدادي**: يتم فيه تواصل مراحل التطوير والتغيير، والتركيز على المحتوى العلمي واكتساب المهارات العالمية الجديدة، ويطلق على محتوى المناهج الدينية «حوار وتفاهم حضارات العالم» ويجري التركيز على أن حضارات العالم هي صاحبة رؤية مشتركة في بناء الإنسان.

وفي هذه المرحلة يجب أن تكون اللغة الدينية مبنية على العقل والمنطق، لا على النقل والتبعية للكتاب المقدس دون تفكير.

ج- **المرحلة الثانوية**: تدرس فيها موضوعات دينية خاصة بكل أصحاب ديانة على حدة، في الصف الأول: مفاهيم العبادات وفائدتها وشروط أدائها، وفي الصف الثاني: بعض القصص التاريخية عن الأنبياء، وفي السنة الثالثة: تقديم نظرة فاحصة عقلانية لبعض الأخطار الدينية الشائعة حول عدوانية الدين الإسلامي والعلاقات مع الشعوب الأخرى، والتآخي بين أصحاب الحضارات.

ويجب أن تمتد المفاهيم إلى كتب التاريخ والمناهج الأخرى، بحيث تدرس آثار الحربين العالميتين الأولى والثانية على البشرية، وتدرس الرؤية المستقبلية للتعاون بين الأمم والأفراد المتباينين في اتجاهاتهم وانتماءاتهم الدينية، أي تمييع مفاهيم الدين الإسلامي وتاريخه ولغته.

أما المناهج الجامعية فلا لزوم فيها إلى المناهج الدينية، ومن الضروري

تكوين مجموعات طلابية للتعارف والتعاون مع دول العالم الأخرى، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية، ويطلق على هذا البرنامج «برنامج التعاون الجامعي».

وتركز الدراسة على فكرة «التأويل واستحداث لغة دينية جديدة» في مبادئ الدين الإسلامي في التعامل مع العالم الغربي، وخاصة الولايات المتحدة.

وأخيراً تدعو الدراسة إلى ضرورة مقاومة قيام الدولة الدينية في الشرق الأوسط، لأنها تمثل مرجعاً لنمو التيارات والجماعات الإرهابية، وتبقى إيران والسودان بين الدول التي يجب إسقاط أنظمتها، كما يجب التدخل لإجبار السعوديين على التخلي عن تطبيق الشريعة الدينية في البلاد.

العولمة وتمكين الأسرة

لا شك بأن من إيجابيات العولمة تمكين الأسرة، كما تقدم، لكن بالنسبة للأسرة الإسلامية يكون للعولمة آثار سلبية أو ضارة، بسبب منهج الدول الغربية بزعامة أمريكة الذي لا يلتزم بالعدل والمساواة بين الأمم على نسق واحد، فهم دائماً في السياسة وغيرها يكيلون بمكيالين.

فهم كما يفعلون في مؤتمرات السكان في القاهرة والصين وغيرهما يريدون تفكيك الأسرة المسلمة، وإشاعة الشذوذ الجنسي وزواج المثل، والاعتداء على المحارم، وتسليط المرأة على الرجل داخل الأسرة وخارجها، والتشجيع على توظيف المرأة، والترويج لهدم الأخلاق الإسلامية، وتشويه التاريخ كما فعل سلمان رشدي وتسليمة نسرين وغيرهما، ووصف من يخالفهم بالإرهاب.

وكذلك -كما تقدم- محاولة إضعاف اللغة العربية وقصرها على المختصين، والترغيب باللهجة العامية، والتدريس باللغة الإنكليزية، كما فعلت جامعات كثيرة، ومؤازرة حملات التطبيع والتبعية للغرب، وبرامج السلام مع الكيان الصهيوني، ووصف من يتمسك بالثقافة الإسلامية بالتعصب، كالتزام الحجاب، كما فعلت فرنسة مع المسلمات فيها إذ منعتهم من الحجاب الشرعي في الأماكن

العامة، لاعتباره شعاراً دينياً يهدد الأمن وعلمانية الدولة، على عكس النظرة إلى القلنسوة اليهودية على الرأس.

ويروج أقطاب العولمة للنموذج الرأسمالي الليبرالي أنموذجاً أمثل للحياة الاقتصادية، والدعوة إلى السوق المفتوح، والخضوع لتوجيهات الشركات الكبرى أو العملاقة، والحد من تدخل الدولة أمام هذا التيار الجارف، مما أدى إلى تعميق أزمة البطالة، وتوسيع الهوة بين الطبقات، وتعويم العملة الوطنية، فضلاً عن انتشار البطالة حتى في أمريكة والغرب وغيرها من الدول. ولقد ارتبطت دولة ماليزية بالعولمة، ولم تضع نظاماً مصرفياً مما مكَّن جورج موروس عن طريق البورصة من إيقاع الأغنياء بالإفلاس وانهيار العملة الماليزية.

وبالغ بعض دهاقنة العولمة مثل العالم فرنسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) فأعلن أن العولمة تعبر عن التطور الحقيقي للقوة البشرية خارج إطار اعتماد الأمم والشعوب على أصولها التاريخية وإرثها الثقافي والأخلاقي، وهذه أسوأ ضربة موجهة للعالم الإسلامي وللأسرة المسلمة، لأنه يزعم أن تراكم التطور التقني والمعرفي سيسهم في تحقيق متطلبات البشرية المتزايدة، وأن الحركة الإنسانية هي الحل الوحيد لمشكلات الإنسانية.

وكانت الأزمة المالية العالمية التي بدأت في عام ٢٠٠٨م هي الضربة الموجعة لهذه الأحلام الناجمة عن العولمة، القائمة على التسلط والظلم والغموض[١].

العولمة وحقوق الإنسان

العولمة نظام عنصري غربي، فهي تريد أن تصوغ العالم من جديد، لا على قدم المساواة، وإنما على طريقة ازدواجية المعايير، فلن تعامل الأسرة الأمريكية كالأسرة العربية أو الإفريقية أو الآسيوية، ولا تساوي بين المسيحي والمسلم في

(١) بحث «العولمة صياغة جديدة للعالم وللأسرة، خطرها على تمكين الأسرة وزعزعة ثباتها» في مجلة جامعة دمشق في سنة ٢٠٠٩م.

هذا العالم، وهذه الازدواجية أبرز ما نشاهد مظاهرها في التمييز بين العرب والصهاينة في فلسطين، فلا قيمة للإنسان العربي، وتقوم الضجة الكبرى لأصغر يهودي، ومثل ذلك جرائم أمريكة وحلفائها في استباحة الدماء العراقية والأرض العراقية والأسرة العراقية. بل إن مواقف أمريكة في مجلس الأمن واضحة في الحفاظ فقط على مصلحة الكيان الصهيوني، ولا تقر أي قرار يتعارض مع المصالح الصهيونية مستعملة حق الفيتو (النقض)، ومنها عدم التصديق على نظام المحكمة الجنائية الدولية لأنها تمس الكيان الصهيوني.

العولمة والعالمية الإسلامية

هناك فروق جذرية عديدة بين العولمة والعالمية الإسلامية، وتظهر مما تقدم من تبيان خصائص العولمة. أما العالمية الإسلامية أو النزعة العالمية فهي الرغبة في تمكين كل إنسان وكل أسرة من الحفاظ الشديد والتام على حقوق الإنسان. وأساس العالمية كون الإسلام رسالة عامة في خطاب البشرية جمعاء من أجل غرس الإيمان بأصول الإسلام العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أساس من الحرية والعدالة والمساواة والشورى، ولتحقيق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، لقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ٢٥/ ١] وتختلف العالمية عن العولمة في الخصائص الآتية:

١- الإسلام بحق رسالة عامة تتميز بأنه رحمة شاملة لكل إنسان ومجتمع، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ٢١/ ١٠٧] والرحمة صفة عليا وسامية تعمّ الإنسان والحيوان والجماد وكل مقومات المدنية والحضارة، سواء في حال السلم أو حال الحرب.

٢- الرعاية اللازمة لحقوق الإنسان في جميع الأحوال، انطلاقاً من مبدأ التكريم الإلهي لكل إنسان في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠].

٣- الدعوة إلى الإيمان بتوحيد الله عز وجل، وأن الله تعالى رب الخلائق كلها، وأن البشرية تعبد هذا الإله الواحد فقط دون غيره، لإرساء معالم العزة

والتحرر والقوة في مجابهة الأحداث الكبرى والصغرى، ولتوجيه العالم إلى الإيمان الحق باليوم الآخر، ولتحقيق العدل المطلق، وحساب الخلائق، وعقاب الظالم، ورفع الجور عن المظلومين والمستضعفين في هذا الوجود. وغرس هذه العقيدة في النفوس وهي الخوف من الله تعالى في السر والعلن، وهذا كفيل بردع الظلمة والعصاة والمستكبرين والمتحكمين في رقاب ومصالح المستضعفين.

٤- توفير الطمأنينة النفسية واجتثاث نزعات الغلو والتطرف والقلق بوسائط عديدة منها تذكُّر الله عز وجل في كل حال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ١٣/٢٨] ومنها ممارسة الصلة الروحية بالله عز وجل عن طريق العبادات المفروضة الخمس في اليوم والليلة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٨/٢-٤].

٥- الالتزام بالأخلاق الكريمة قولاً وفعلاً، لا مجرد كونهما شعارات أو أوصاف ترفيه، لأن هذه الأخلاق هي التي حافظت على وجود الإنسان على مدى التاريخ، وهي التي تحقق الإخاء وإشاعة المحبة بين أبناء البشرية، وتعد الأخلاق صمام أمان أمام كل انحراف أو تطرف، وتحقق تماسك الشخصية، لذا كانت من مهام النبي ﷺ الأساسية ومن أصول الدين النابعة من الإيمان، والملازمة للعبادات، والمصاحبة للمعاملات التي تحقق التوازن والاستقرار، وحفظ الحقوق، والباعث إلى الإحسان والاعتدال، فقال نبينا صلوات الله وسلامه عليه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(١)]، «الخلق وعاء الدين»[(٢)]. وهذا غير متوافر في العولمة.

---

(١) وفي لفظ «صالح الأخلاق» أخرجه البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كنز الدقائق للمتقي الهندي ٥١٣٧.

٦- لا توجد لدى المسلمين أطماع اقتصادية في ثروات الآخرين، تمكيناً لهم من العيش الكريم الذي يحقق الاستقرار والوئام، خلافاً للعولمة التي يريد دهاقنتها استنزاف خيرات الآخرين، وإبقاءهم ضعفاء متخلفين، ليعيشوا في الغرب مترفين مرفهين، وغيرهم عالة فقراء جائعين جاهلين مرضى.

٧- تقترن العالمية الإسلامية بإعمال العقل والاعتماد على الحوار، ونشر العلم، لأنه سبيل الرقي العام، وأهل الحكمة والعقل والعلم هم الذين يريدون نشر السلام والأمان، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨/٢]، أما أقطاب العولمة فيعتمدون على إيثار الاستكبار والسيطرة والقهر والقوة العسكرية والبطش بالمستضعفين كما نشاهد في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وكذا الإفريقي.

٨- الإخاء الإنساني، والمساواة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي بين الناس قاطبة هي أصول الإسلام، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣/٤٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١/٤] وحينئذ ينعم الإنسان ذكراً وأنثى، مسلماً وغير مسلم، والإنسانية، بالخير والازدهار، والسعادة والاستقرار، على عكس ما نلمس من الاضطراب والقلق والثورات والهيجان في مجتمع العولمة، وكما نرى من هيمنة العنصرية العرقية على الآخرين، وإرهاقهم، وإفقارهم، وأسوأ قاعدة لهم الكيان الصهيوني البغيض القائم على العنصرية، ونشر الدمار والخراب والقتل والإبادة لشعب فلسطين، ومحاولة طردهم من ديارهم، وهدم منازلهم، ومصادرة أملاكهم، وقلع أشجارهم ومنعهم من استثمار أراضيهم والاستفادة مما يزرعون ويغرسون.

واجب العالم الإسلامي أمام طغيان العولمة

على المسلمين قادة وشعوباً العمل الصادق على تطبيق مبادئ الإسلام الكبرى في رعاية حقوق الإنسان، وإعمال مبادئ الحرية والعدل والمساواة والشورى، وتمكين الأسرة، وتحقيق الآمال لدى الفئة العاملة.

كما عليهم وضع الخطط التنموية والاقتصادية لنهضة الأمة والمجتمع، والتخلص من ظاهرة الفقر والجهل والمرض والبطالة.

كما على الأمة بناء صرح الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بخطط مشتركة، وأنظمة واحدة، ومواقف مشتركة، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وإنقاذ عرب فلسطين وغيرهم من ألوان الضعف والإذلال والمهانة.

والخلاصة: أن العالمية الإسلامية خير محض للإنسانية المنصفة، والعولمة غالبها الشر والقهر للإنسانية المعذبة لحساب صانعيها الأمريكان.

وهذا قرار واضح صادر عن المؤتمر الإسلامي العام الرابع الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في ٢٣-٢٧/ ١/ ١٤٢٣هـ= ٦-١٠/ ٤/ ٢٠٠٢م رقم (٢) ينص على ما يأتي:

تعاني الأمة الإسلامية في العصر الراهن من تحديات خطيرة تستهدف أسسها وخصائصها ومقومات الشخصية الإسلامية.

ولقد توقف المؤتمر الإسلامي العام الرابع عند هذه التحديات، مثل (الفرقة بين المسلمين، وتشتت مناهج شعوب الأمة، والحملات التي تسعى إلى تشويه الإسلام، وأمن الأمة الإسلامية، والتخلف الاقتصادي وبطء التنمية، بالإضافة إلى التحديات الاجتماعية، والإعلامية، والثقافية، والسياسية، والحضارية وغيرها) وتدارس سبل معالجة هذه التحديات والأسس التي يتعين على الأمة أن تعتمدها، ابتداءً من تحقيق وحدة المسلمين وتعاونهم، وتحقيق أمن الأمة، وانتهاءً بتقديم الإسلام بديلاً حضارياً عالمياً للإنسانية، وقد توصل إلى ما يلي:

٣/ ١- الوحدة الإسلامية.

٣/ ٢- وسطية الأمة الإسلامية.

٣/ ٣- الدفاع عن الإسلام وإظهاره في صورته الصحيحة.

٣/ ٤- دعم العمل الخيري الإسلامي والدفاع عن منظماته.

٣/ ٥- التجديد والاجتهاد في الإسلام.

٣/ ٦- أمن الأمة الإسلامية.

٣/ ٧- العمل الإسلامي المشترك.

٣/ ٨- محكمة العدل الإسلامية

٣/ ٩- التنمية في المجتمعات المسلمة.

٣/ ١٠- حقوق الإنسان.

٣/ ١١- التحديات الاجتماعية.

٣/ ١٢- الأسرة والمرأة والطفل.

٣/ ١٣- المؤسسات والمراكز والجمعيات الإسلامية في الدولة غير الإسلامية.

٣/ ١٤- الإسلام والإرهاب.

٣/ ١٥ - الإعلام الإسلامي.

٣/ ١٦- الأمة وحوار الحضارات.

٣/ ١٧- الإسلام بديل حضاري.

وقد حدد كتاب (العولمة ومستقبل العالم الإسلامي)[١] مواصفات الإسلام ونماذجه مبيناً مضامينها بياناً شافياً:

- مواصفات عقائدية.
- مواصفات تشريعية (اقتصادية، وسياسية)
- مواصفات أخلاقية

ثم ذكر جوانب التميز في رسالة الإسلام العالمية وهي:

١- نماذج من المساواة الإنسانية.

---

(١) د: فتحي يكن، ورامز طنبور، ص١٢١-١٤٢.

٢- نماذج من المساواة الاجتماعية والاقتصادية.

٣- نماذج من المساواة الطائفية.

٤- نماذج من المساواة العنصرية.

٥- نماذج من المساواة الحقوقية.

٦- الحرية في الإسلام: في الحرية الدينية، في حرية التعبير.

٧- الرأفة والرفق والرحمة في الإسلام.

٨- الأخلاق الحربية في الإسلام.

٩- التكافل الاجتماعي في الإسلام.

١٠- العدالة الاجتماعية.